السلسلة النفيسة فى ثورات مصر الحديثة

الثورة العرابية

عندما يتحكم الهوى في توجيه الرأي وكتابة
التاريخ تنطق الأماكن لتروي حقيقة ما جرى

بقلم : محمد يونس هاشم
إخراج فني : هند عبد الغفار

دار زهور المعرفة والبركة

مُقَدِّمَةُ السِّلْسِلَةِ النَّفِيسَةِ

فِي ثَوْرَاتِ مِصْرَالحَدِيثَةُ

لَوْ أَحْصَيْنَا الثَّوْرَاتِ فِي تَارِيخِ مِصْرَ كُلِّهِ لَمَا نَافَسَهَا شَعْبُ آخَرُ فِي هَذَا المِضْمَارِ، وَيَكْفِيهَا فَخْراً أَنَّهَا فِي العَامِينِ الأَخِيرَينَ فَقَطْ قَدْ قَامَتْ بِثَوْرَتَيْنِ وَ أَسْقَطَتْ رَئِيسَيْنِ وَهُوَ مَا لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهُ فِي شُعُوبِ العَالِمِ ، وَتَارِيخِ الأُمَمِ .

نَعَمْ قَدْ تَكُونُ هُنَاكَ اضْطِرَابَاتٌ فِي بَعْضِ الدِّوَلِ فَتَقُومُ بِهَا انْقِلابَاتٌ عَسْكَرِيَّةٌ كَثِيرَةٌ فِي أَوْقَاتٍ وَجِيزَةٍ ، لَكِنْ أَنْ تَقُومَ ثَوْرَتَانِ شَعْبِيَتَانِ يُشَارِكُ فِيهَا عَشَرَاتُ المَلاَيِينِ فِي نِحْوِ عَامَيْنِ فَهَذَا مِمَّا عَلَّمَتْهُ مِصْرُ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ .

وَسَوْفَ نَعْتَمِدُ فِي حَدِيثِنَا عَنْ ثَوْرَاتِ مِصْرَ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ لَيْسَ عَلَى رِوَايَاتِ الإِفْكِ الَّتِي كَتَبَهَا وَأَشَاعَهَا المُسْتَعْمِرُونَ الأَجَانِبُ لِيُشَوِّهُوا نِضَالَنَا ضِدَّهُم ، وَلِيُبَرِّرُوا احْتِلاَلَهِم لَنَا وَنَهْبَهِم ثَرَوَاتِنَا إِنَّمَا سَنَعْتَمِدُ عَلَى شَهَادَةِ شُهُودٍ لاَ يَعْرِفُونَ الكَذِبَ وَلاَ النِّفَاقَ لاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ الحَقِيقَةَ المُجَرَّدَةَ وَالوَقَائِعَ الثَّابِتَةَ وَ الأَحْدَاثَ المُؤَكَّدَةَ سَنَعْتَمِدُ عَلَى شَهَادَةِ الأَمَاكِنِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا الثَّوْرَاتُ .

سَوْفَ نَطْلُبُهَا لِلشَّهَادَةِ وَنَسْتَنْطِقُهَا الحَقَّ ، وَالحَمْدُ للهِ أَنَّهَا مَازَالَتْ بَاقِيَةً : قَائِمَةً ، أَوْ أَطْلاَلاً وَإِن أَصَابَتْ بَعْضَهَا الشَّيْخُوخَةُ إِلاَّ أَنَّ ذَاكِرَتَهَا مَا زَالَتْ حَافِظَةً ضَابِطَةً .

الثَّوْرَةُ العُرَابِيَّةُ

الشَّاهِدُ الأَوَّلُ

أَسَدُ قَصْرِ النِّيل

نَظَراً لاسْتِحَالَةِ حُضُورِ الشَّاهِدِ ، وَحِفَاظاً عَلَى قِيمَتِهِ الأَثَرِيَّةِ انْتَقَلَتْ هَيْئَةُ المَحْكَمَةِ المُوَقَّرَةُ إِلَى مَحِلِّ إِقَامَتِهِ .

عِنْدَمَا وَصَلَتْ هَيْئَةُ المَحْكَمَةِ لَمْ تَجِدْ قَصْرَ النِّيلِ مَحِلَّ الوَاقِعَةِ الَّتِي يَقْضُونَ فِيهَا فَسَأَلَتْ عَمَّنْ يَرْشِدُهُم إِلى عُنْوَانِ قَصْرِ النِّيلِ فَدَلُّوهُم عَلَى الأَسَدِ الأَيْمَنِ الرَّابِضِ فِي مُقَدِّمَةِ كُبْرِي قَصْرِ النِّيْلِ مِنْ الجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ ؛ فَهُوَ أَقْرَبُ أَثَرٍ بَاقٍ شَاهِدٍ عَلَى قَصْرِ النِّيْلِ .

عِنْدَ الوُصُولِ إِلَيْهِ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ هَيْئَةُ المَحْكَمَةِ الأَسْئِلَةَ الآتِيَةَ :

القاضي : اسْمُكَ وَسِنُّكَ وَعُنْوَانُكَ ؟

– أَنَا الأَسَدُ الأَيْمَنُ فِي مَدْخَلِ كُبْرِي قَصْرِ النِّيْلِ مِنَ الجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ ، تَمَّ إِنْشَائِي فِي هَذَا المَكَانِ فِي العَاشِرِ مِنْ فِبْرَايِر سَنَةَ 1872م .

قُلْ : أُقْسِمُ بِاللهِ العَظِيمِ أَنْ أَشْهَدَ بِالحَقِّ .

الأَسَدُ : نَحْنُ كَائِنَاتٌ لاَ تَقُولُ إِلاَّ الحَقَّ فَنَحْنُ لَسْنَا بَشَراً مِثْلَكُم يَتَحَكَّمُ الهَوَى فِي إِفْسَادِ آرَائِهِم .

مَالَ القَاضِي عَلَى المُسْتَشَارَيْنِ يَسْتَطْلِعُ رَأْيَهُمَا فِي رَفْضِ الأَسَدِ حِلْفَ اليَمِينِ ، وَبَعْدَ مُدَاوَلَةٍ قَصِيرَةٍ اسْتَقَرُّوا عَلَى أَنْ يُعْفُوهُ مِنْ حِلْفِ اليَمِينِ وَيَسْتَكْمِلُوا اسْتِجْوَابَهُ .

القَاضِي : مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ قَصْرِ النِّيلِ ؟

– سَمِعْتُ عَنْهُ وَلَمْ أَرَهُ فَقَدْ أُنْشِئْتُ بَعْدَهُ .

– وَمَاذَا سَمِعْتَ عَنْهُ ؟

– سَمِعْتُ أَنَّهُ قَصْرٌ بَنَاهُ مُحَمَّدُ عَلِيّ بَاشَا لابْنَتِهِ نَازْلِى هَانِم .

– وَأَيْنَ كَانَ يُوْجَدُ ؟

– كَانَ مَبْنِيّاً عَلَى نَهْرِ النِّيْلِ أَمَامِي هُنَا ؟

تَلَفَّتَ القَاضِي وَالمُسْتَشَارَانِ فَلَمْ يَرَيَا أَيَّةَ قُصُورٍ أَمَامَ الأَسَدِ لَمْ يَرَيَا إلاَّ فَنَادِقَ سَيَاحَيَّةً حَدِيثَةَ البِنَاءِ.

فَعَادَ القَاضِي يَسْأَلُ الأَسَدَ : وَأَيْنَ هُوَ الآنَ ؟

–لَقَدْ هَدَمَهُ سَعِيدُ بَاشَا لِيَبْنِى مَحِلَّهُ ثُكْنَاتٍ لإِقَامَةِ الجَيْشِ المِصْرِيِّ .

مَالَ القَاضِي عَلَى المُسْتَشَارَيْنَ قَائلاً : نَعَمْ ، نَعَمْ .. الْحادِثَةُ لَمْ تَقَعْ فِي قَصرِ نَازِلِي هَانِم إِنَّمَا وَقَعَتْ فِي ثُكْنَاتِ قَصْرِ النِّيلِ الْعَسْكَرِيَّةِ .

– وَأَيْنَ هِيَ ثُكْنَاتُ قَصرِ النِّيلِ هَذِهِ ؟

– بَعْدَ أَنْ كَانَتْ هَذِهِ الثُّكْنَاتُ مَقَرّاً لِلْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ قَبْلَ الاحْتِلاَلِ البِرِيطَانِيِّ صَارَتْ مَقَرّاً لِلْجَيْشِ البِرِيطَانِيِّ بَعْدَ الاحْتِلاَلِ ، وَبَعْدَ قِيامِ ثَوْرَةِ يُولْيُو 1952م تَمَّ إِزَالَةُ الثُّكْنَاتِ وَبِيعَتْ الأَرْضُ لِشِرْكَاتٍ أَجْنَبِيَّةٍ أَقَامَتْ عَلَيْهَا فَنَادِقَ النِّيلِ الَّتِي تَرَوْنَهَا .

قَالَ الْقَاضِي مُخَاطِباً كَاتِبَ الْمَحْكَمَةِ اُكْتُبْ يا اِبْنَي : بُنِيَ مَكَانُ ثُكْنَاتِ قَصْرِ النِّيلِ فَنَادِقَ : هِيلْتُون وَشِبَرْد وَسَمِيرَامِيس .

قَالَ الْقَاضِي مُخَاطِباً كَاتِبَ الْمَحْكَمَةِ

اُكْتُبْ يا اِبْنَي : بُنِيَ مَكَانُ ثُكْنَاتِ قَصْرِ النِّيلِ فَنَادِقَ : هِيلْتُون وَشِبَرْد وَسَمِيرَامِيس .

مَالَ الْقَاضِي عَلَى الْمُسْتَشَارَيْنَ قَائِلاً : الشَّاهِدُ الرَّئِيسِيُّ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ تَهَدَّمَ وَلا أَثَرَ لَهُ ، فَمَاذَا نَفْعَلُ ؟

قَالَ عُضْوُ الْيَمِينِ لِلْقَاضِي : سَلْ الأَسَدَ فَقَدْ عَاصَرَ الأَحْدَاثَ رُبَّمَا كَانَتْ لَدَيهِ مَعْلُومَاتٍ عَنْ الْوَاقِعَةِ ، وَهَزَّ عُضْوُ الْيسارِ رَأْسَهُ مُوَافِقاً عَلَى اقْتِراحِ عُضْوِ الْيَمِينِ .

قَالَ الْقَاضِي للأَسَدِ : مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ قِصَّةِ الْقَبْضِ عَلَى أَحْمَدَ عُرَابِي يَوْمَ السَّبْتِ .

الأَسَد : أَنَا لا أَعْلَمُ إلاَّ أَنَّهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ كَانَ هُنَاكَ حَشْدٌ كَبِيرٌ مِنْ الضُّبَّاطِ الشَّرَاكِسَةِ مِنْ رُتْبَةِ الْفَرِيقِ إِلَى رُتْبَةِ الْمُلاَزِمِ ثَانِي ، وَجَمِيعُ شُبَّانِهِمْ بِأَيْدِيهِم الطَّبَنْجَاتٌ ذَوَاتُ 6 طِلْقَاتٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْخَرْطُوشِ ، وَكُلُّهُمْ فِي فَرَحٍ وَمَرَحٍ ، ثُمَّ حَضَرَ ثَلاثَةُ أُمَرَاءِ آلايات مِصْرِيِّينَ هُمْ : أَحْمَدُ عُرَابِي وَعَلِيُّ فَهْمِي ، وَعَبْدُ الْعَالِ حِلْمِي فِي مَلاَبِسِهِمْ الْعَسْكَرِيَّةِ مُمَنْطَقِينَ بِسُيُوفِهِمْ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ كَأَنَّهُمْ ذَاهِبُونَ إِلَى فَرَحٍ وَدَخَلُوا دِيوانَ الْجِهَادِيَّةِ .

مَالَ الْقَاضِي عَلَى كَاتِبِ الْمَحْكَمَةِ الَّذِي يُسَجِّلُ وَقَائِعَ الْجَلْسَةِ وَقَالَ لَهُ : بَعْدَ دِيوانِ الْجِهَادِيَّةِ اُكْتُبْ بَيْنَ قَوْسِينِ وَزَارَةِ الدِّفاعِ .

ثُمَّ وَاصَلَ الْقَاضِي سُؤَالَ الأَسَدِ : وَأَيْنَ يَقَعُ دِيوانُ الْجِهادِيَّةِ هَذَا ؟

– كَانَ إِحْدَى بِنَايَاتِ ثُكْنَات قَصْرِ النِّيلِ .

قَالَ الْقَاضِي : وَمَاذَا حَدَثَ لأَحْمَدَ عُرَابِي وَصَاحِبِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ ؟

– لا أَدْرِي مَاذَا حَدَثَ لَهُمْ دَاخِلَ الثُّكْنَةِ فَكَمَا تَرَى فَإِنِّي لا أُغَادِرُ مَكَانِي وَلا أَرَى إلاَّ مَا يَجْرِي خَارِجَ الثُّكْنَاتِ أَمَا دَاخِلَهَا فَلا عِلْمَ لِي بِهِ .

– وَمَاذَا رَأَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟

– بَعْدَ بِضْعِ سَاعَاتٍ مِنْ دُخُولِ أَحْمَدَ عُرَابِي وَصَاحِبَيْهِ دِيوَانَ الْجِهَادِيَّةِ إِذَا بِأُوُرْطَتَيْنِ مِنْ آلاي الْحَرَسَ الخِدِيوِي بِقِيَادَةِ البِكْبَاشِي مُحَمَّدٍ أَفَنْدِي عِبِيد يُحَاصِرُونَ دِيوانَ الْجِهَادِيَّة ثُمَّ أَسرعَ بَعْضُ وَالصَّفِّ ضُبَّاطِ وَفَتَحُوا أَبْوَابَ الدِّيوَانِ وَأَخْرَجُوا عُرَابِي وَصَاحِبَيْهِ بَعْدَمَا فَرَّ عُثْمَانُ رِفْقِي بَاشَا نَاظِرُ الْجِهَادِيَّةِ وَجَمِيعُ رِجَالِ الْمَجْلِسِ الْعَسْكَرِيِّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ الْمُجْتَمِعِينَ هَارِبِينِ .

– هَلْ تَعْرِفُ مَاذَا تَمَّ دَاخِلَ دِيوانِ الْجِهَادِيَّةِ مُنْذُ دُخُولِ عُرَابِي وَصَاحِبَيْهِ حَتَّى خُرُوجُهُمَا .. تَذَكَّرَ جَيِداً .

– يا سِيادَةَ الْقَاضِي نَحْنُ لا نَنْسَى حَتَّى نَتَذَكَّرَ ، لَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ بِكُلِّ مَا رَأَيْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ .

– هَلْ تَعْرِفُ مَنْ يُخْبِرُنَا بِمَا جَرَى دَاخِلَ دِيوانِ الْجِهَادِيَّةِ حَتَّى نَسْأَلَهُ ؟

– نَعَمْ أَعْرِفُ ، كَثِيرٌ مِنْ أَحَجَّارِ ثُكْنَاتِ قَصْرِ النِّيلِ بَعْدَ هَدْمِهَا اسْتَخْدِمَتْ فِي بِنَاءِ كُورْنِيشِ النِّيلِ عَنْ يَمِينِي وَيَسَارِي هُنَا فَسَلْهَا تُجِبْكَ .

– شَكَرَتْ هَيْئَةُ الْمَحْكَمَةِ أَسَدَ قَصَرِ النِّيلِ الأَيْمَنِ وَذَهَبَتْ تَبْحَثُ عَنْ أَحْجَارِ ثُكْنَاتِ قَصَرِ النِّيلِ.

الشَّاهِدُ الثَّاني

حَجَرُ سِجْنِ ثُكْنَاتِ قَصْرِ النِّيلِ.

لاحَظَتْ هَيْئَةُ الْمَحْكَمَةِ أَنَّ جِدَارَ كُورْنِيشِ النِّيلِ مِنْ جِهَةِ النِّيلِ مُبَطَّنَةٌ بِالْفِعْلِ بِأَحْجَارٍ قَدِيمَةٍ وَلَكِنْ لا تَدْرِي أَيَّةَ أَحْجَارٍ كَانَتْ أَحْجَارَ السِّجْنِ الَّذِي حُبِسَ فِيهِ عُرَابِي وَصَاحِبَيْهِ السَّاعَاتِ الَّتِي أَمْضَوْهَا فِيهِ قَبْلَ مَجِيءِ مُحَمَّدٍ عبيد لإِنْقَاذِهِم .

قَالَ عُضْوُ الْيَسَارِ : أَرَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِأَصْحَابِ الْمَرَاكِبِ السِّيَاحِيَّةِ الْمُنْتَشِرَةِ عَلَى شَاطِئِ قَصرِ النِّيلِ وَالْمُمْتَدَّةِ مِنْ كُبْرِي قَصرِ النِّيلِ إِلَى كُبْرِي السَّادِسِ مِنْ أُكْتُوبَرَ.

وَبِالْفُعْلِ اسْتَعَانَتْ هَيْئَةُ الْمَحْكَمَةِ بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ هَؤُلاءِ الرِّجَالِ فِي الْبَحْثِ عَنْ أَحْجَارِ السِّجْنِ وَلَكِنَّ الْمُشْكِلَةَ الَّتِي وَاجَهَتْهُم ، كَيْفَ يُمَيِّزُونَ أَحْجَارَ السِّجْنِ مِنْ غَيْرِهَا ؛ فالأَحْجَارُ لا حَصْرَ لَهَا .

الْقَاضِي : فِكْرَةٌ وَجِيهَةٌ .

قَالَ عُضْوُ الْيَمِينِ : أَحْجَارُ السِّجْنِ عَادَةً مَا تَكُونُ مُلَطَّخَةً بِالدِّماءِ ، وَبِأَسْمَاءِ النُّزَلاَءِ ، وَالتَّوَارِيخِ

قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَرَاكِبِ : مَضْبُوطٌ لَقَدْ رَأَيْنَا مِثْلَ هَذِهِ الأَحْجَارِ وَيُمْكِنُ أَنْ نَدُلَّكُمْ عَلَيهَا .

بَعْدَ بَحْثٍ اسْتَغْرَقَ عِدَّةَ سَاعَاتٍ عُثِرَ عَلَى بَعْضِ الأَحْجَارِ عَلَيْهَا آثَارُ دِماءٍ مُتَجَلِّطَةٍ وَكِتَابَاتٌ عَنْ الظُّلْمِ وَالْقَهْرِ وَالصَّبْرِ ، وَحِكَمٌ وَأَشْعَارٌ وَآيَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ ، وَتَوَارِيخُ قَبْلَ تَارِيخِ الْقَبْضِ عَلَى عَرَّابِي وَصَاحِبَيْهِ وَتَوَارِيخُ أُخْرَى لاَحِقَةٌ .

سَأَلَ الْقَاضِي الأَحْجَارَ عَنْ وَاقِعَةِ سِجْنِ عُرَابِي وَصَاحِبَيْهِ .

قَالَ وَاحِدٌ مِنْهَا : أَنَا شَاهِدٌ عَلَى هَذِهِ الْوَاقِعَةِ .

قَالَ الْقَاضِي : اسْمُكَ وَسِنُّكَ وَعُنْوَانُكَ ؟

الْحَجَر : أَنَا أَحَدُ أَحْجَارِ سِجْنِ دِيوانِ الْجِهَادِيَّةِ ، أَنْشِئْتُ فِي حُكْمِ سَعِيدِ بَاشَا ، وَعُنْوَانِي الآنَ حَيْثُ تَقِفُ سَعَادَتُكَ .

وَبَعْدَ أَنْ قَالَ الْقَاضِي : قُلْ وَاللهِ الْعَظِيمِ ... اسْتَدْرَكَ قَائِلاً : مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ حَادِثَةِ السَّبْتِ 27 أُغُسْطُس 1881م .

قَالَ الْحَجَر : فِي هَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ الْعَصْرِ فُتِحَ بَابُ السِّجْنِ وَدَخَلَ ثَلاثَةٌ وَسَطَ حِراسَةٍ مُشَدَّدَةٍ مُسَلَّحَةٍ وُفُورَ دُخُولِهِمْ وَإِحْكَامِ إِغْلاقِ السِّجْنِ جَاءَ خِسْرُو بَاشَا فَوَقَفَ خَارِجَ السِّجْنِ وَقَالَ : " إِيهِ زَنْبِيلَ لِي هرفلر ".

قال الْقَاضِي لِلْحَجَرِ مستفسراً : قَالُ مَاذَا ؟

الْحَجَر : قَالَ :" إِيهِ زَنْبِيلَ لِي هرفلر ".

الْتَفَتَ الْقَاضِي إِلَى الْمُسْتَشَارَيْنَ وَقَالَ : هَلْ فَهِمَ أَحَدُكُمَا شِيئاً ؟

قَالَ عُضْوُ الْيَمِينِ : سَلْ الْحَجَرَ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ .

قَالَ الْحَجَرُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُ الْقَاضِي : مَعْنَاهَا " فَلاَحَيْنِ شَغَّالِينَ بِالْمَقَاطِفِ ". الْقَاضِي : وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟

الْحَجَر : دَارَ حِوَارٌ طَوِيلٌ بَيْنَ الثَّلاثَةِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي :

قَالَ عَلِيٌّ فَهْمِي بِكَ : وَاللهِ لا نَجَاةَ لَنَا مِنْ الْمَوْتِ وَأَوْلادُنَا صغارٌ .

قَالَ عَبْدُ الْعَالِ حَلِمَي : مَا هَذِهِ الْخِسَّةُ ؟ كَيْفَ يَدْعُونَنَا إِلَى دِيوانِ الْجِهَادِيَّةِ لِنَشْهَدَ الاحْتِفَالَ بِزِفافِ شَقِيقَةِ الْحَضْرَةِ الخِدِيويَّةِ " جَمِيلَة هَانَم " ثُمَّ يَغْدِرُونَ بِنَا وَيَزُجُّونَ بِنَا فِي السِّجْنِ هَكَذَا دُونَ مُحَاكَمَةٍ .

عُرَابِي بِكَ : وَمَاذَا كُنْتَ تَنْتَظِرُ مِنْ هَؤُلاءِ الشَّرَاكِسَةِ غَيْرَ هَذَا إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْ كُلِّ وَطَنِيٍّ مُخْلِصٍ فِي الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ حَتَّى يَكُونَ قَاصِراً عَلَيهِمْ .

عَبْدُ الْعَالِ : مَعَكَ حَقٌّ ، لَقَدْ كَثُرَ اجْتِمَاعُ الشَّرَاكِسَةِ بِمَنْزِلِ الفَرِيقِ خَسْرُو بَاشَا صَغِيراً وَكَبِيراً وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ فِي تَارِيخِ دُوَلَةِ الْمَمَالِيكِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِحُضورِ رُفْقِي باشا ، وَيَقُولُونَ قَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِرَدِّ بِضاعَتِنَا ، وَإِنَّهُمْ لا يُغْلَبُونَ مِنْ قِلَّةٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى اسْتِخْلاَصِ مِصْرَ وَامْتِلاَكِهَا ، وَلَقَدْ تَحَقَّقْنَا مِنْ ذَلِكَ كُلِّه كَمَا أَخْبَرْنَاكَ يَوْمَ كِتَابَةِ الْعَرِيضَةِ .

قَالَ عَلِيٌّ فَهْمِي غَاضَباً : لَيْتَنِي مَا ذَهَبْتُ إِلَى بَيْتِكَ يا عُرَابِي هَذَا الْيَوْمَ الْمَشْئُومَ الَّذِي وُقِّعْنَا فِيهِ عَلَى الْعَرِيضَةِ .

عُرَابِي بِكَ : اِهْدَأْ يا عَلِيُّ { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا

مِمَّا يَمْكُرُونَ }

قَال عَبْدُ الْعَالِ مخاطباً عَلِيّ فهمي : وَمَاذَا تُرِيدُنَا أَنْ نَفْعَلَ بَعْدَ أَنْ فَصَلُونَا ، نَحْنُ الثَّلاثَةِ ، مِنْ آلاياتِنَا .

قَالَ عُرَابِي بِكَ : إذا كَانَ الأَمْرُ قَاصِراً عَلَى فَصْلِنَا لهان إِنَّمَا الأَمْرُ أَمْرُ الأُمَّةِ كُلِّهَا إِنَّ الخِدِيوِي وَشَرَاكِسَتَهُ يَحْكُمُونَ بِالْجَوْرِ وَيَسْتَبِدُّونَ بالأَمْرِ ولا يُرَاعُونَ مَصَالِحَ الْبِلادِ وَالْعِبَادِ ، وَالْعَرِيضَةُ الَّتِي قَدَّمْتُهَا إِلَى رِياض باشا لَمْ تَكُنْ طَلَباً بِإِعَادَتِنَا إِلَى الْخِدْمَةِ إِنَّمَا كَانَتْ تَتَضَمَّنُ مَطَالِبَ الْجَيْشِ وَالشَّعَبِ .

قَالَ عَلِيٌّ فَهْمِي وَقَدْ هَدَأَ قَلِيلاً : مَاذَا لَوْ كُنَّا قَدْ رَفَعْنَا عَرِيضَةً للخديوي نَطْلُبُ فِيهَا إِعَادَتَنَا إِلَى وَظَائِفِنَا بَدَلاً مِنْ تِلْكَ الْعَرِيضَةِ الَّتِي شَكَوْنَا فِيهَا مِنْ تَعَصُّبِ عثمان رِفْقِي لِجَنْسِهِ ، وإِجْحَافِهِ بِحُقُوقِ الْوَطَنِيِّينَ ... وَأَظُنُّ أَنْ الخِدِيوِي كَانَ سَيَقْبَلُ الْتِمَاسَنَا ؛ فَقَدْ سَبَقَ أَنْ رَقَّانَا مِنْ رُتْبَةِ قَائِمقَام إِلَى أميرالاي بَعْدَ نَحْوِ عِشْرِينَ سَنَةً مِنْ تَوَقُّفِ تَرَقِيَتِنَا فِي عَهْدِ أَبِيهِ .

عُرَابِي : عِنْدَمَا اجْتَمَعْنَا فِي بَيْتِي يَوْمَ كِتَابَةِ الْعَرِيضَةِ قُلْتُم :" إِنَّمَا جِئْنَاكَ لأَخَذ رَأْيِكَ فِيمَا دَهَمَنَا مِنْ الْخَطْبِ الْعَظِيمِ ". فَقُلْتُ لَكُمْ :" أَرَى أَنْ تُطَيِّبُوا نُفُوسَكُمْ وَتُهَدِّئُوا رَوْعَكُمْ ، وَتَعْتَمِدُوا عَلَى رُؤسَائِكُم وَتُفَوِّضُوا لَهُمْ النَّظَرَ فِي مُصَالِحِكُمْ ... فَقُلْتُم جَمِيعاً : " لا نَبْغِي غَيْرَكَ وَلا نَثِقُ إلاَّ بِكَ " فَقُلْتُ : ارْجِعُوا لأَنْفُسِكُمْ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ عَصِيبٌ لا يَسَعُ الْحُكُومَةُ إلاَّ قَتْلَ مِنْ يَقُومُ بِهِ وَيَدْعُو إِلَيهِ ". فَقُلْتُمْ :" نَحْنُ نَفْدِيكَ وَنَفْدِي الْوَطَنَ بِأَرْوَاحِنَا ". فَقُلْتُ لَكُمْ :" أَقسِمُوا لِي بِذَلِكَ " فَأَقْسَمْتُم . وحِينَئِذٍ كَتَبْتُ الْعَرِيضَةَ ، ثُمَّ تَلَوْتُهَا عَلَى مَسَامِعِ الجَمِيعِ فَوَافَقْتُم جَمِيْعاً عَلَيْهَا فَأَمْضَيْتُهَا بِإِمْضَائِي وَخَتَمْتُهَا بِخَتْمِي وَخَتَمْتَ أَنْتَ وَعَبْدُ الْعَالِ عَلَيهَا .

قَالَ عَبْدُ الْعَالِ : يا عُرَابِي نَحْنُ نَعْرِفُ كُلَّ هَذَا ، وَعَلِيّ فَهْمِي فَقَطْ يَخْشَى عَلَى أَوْلادِهِ فَاعْذُرْهُ .

عُرَابِي : نَحْنُ وَأَوْلادُنَا وَكُلُّ مَا نَمْلِكُ فِدَاءٌ لِلْوَطَنِ ، وَلاَبدَ أَنْ نَمْضِيَ فِيمَا عَزَمْنَا عَلَيْهِ .

لَمْ يَكَدْ عُرَابِي يُتِمُّ جُمْلَتَهُ حَتَّى سَمِعَ صِيَاحاً وَصَخَباً ؛ فَقَدْ اقْتَحَمَ جُنُودُ البِكْبَاشِي مُحَمَّد عَبِيدِ السِّجْنَ وَفَتَحُوا الأَبْوَابَ وَأَخْرَجُوا عُرَابِي وَصَحْبَهُ .

احمد عرابى

الشَّاهِدُ الثَّالِثُ

شَهَادَةُ قَصْرِ عَابِدِين

بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعَتْ هَيْئَةُ الْمَحْكَمَةِ إِلَى شَاهِدَي وَاقِعَةِ حَبْسِ عُرَابِي فِي سِجْنِ دِيوَانِ الْجِهَادِيَّةِ وَعَرَفَتْ كُلَّ مُلاَبَسَاتِهَا تَوَجَّهَتْ فِي الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى مَيْدَانِ عَابِدِينَ لِسَمَاعِ شُهُودِ وَاقِعَةِ مُظَاهَرَةِ عَابِدِينَ الَّتِي قَادَهَا أَحْمَدُ عُرَابِي .

قَالَ الْقَاضِي لِلْمُسْتَشَارَيْنَ : مَهَمَّتُنَا الْيَوْمَ سِهْلَةٌ ؛ فَشُهُودُ هَذِهِ الْحَادِثَةِ مَا زَالُوا أَحْيَاءً : الْحَيُّ وَالْقَصْرُ ، وَالْمَيْدَانُ .

قَالَ عُضْوُ الْيَمِينِ : أَرَى أَنْ نَخْتَصِرَ الأَمْرَ وَنَكْتَفِي بِسَمَاعِ شَهَادَةِ قَصَرِ عَابِدِينَ ، وَالْحَمْدُ للهِ أَنَّهُ مَا زَالَ قَائِماً كَمَا كَانَ أيامَ عُرَابِي .

فِي الْبِدَايَةِ رَفَضَ حُرَّاسُ الْقَصْرِ دُخُولَ هَيْئَةِ الْمَحْكَمَةِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ التَّعَرُّفِ عَلَى هُوِيَّتِهِمْ ، وَمَعْرِفَةِ مَهَمَّتِهِمْ وَالاتِّصَالِ بِالمَسْئُولِينَ سُمِحَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْقَصْرِ .

بَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّتْ هَيْئَةُ الْمَحْكَمَةِ فِي الشُّرْفَةِ الأَمَامِيَّةِ الْمُوَاجِهَةِ لِلْمَيْدَانِ بَدَأَتْ مَهَمَّتَهَا .

الْقَاضِي لِقَصْرِ عَابِدِينَ : اسْمُكَ وَسِنُّكَ وَعُنْوَانُكَ ؟

قَصْرُ عَابِدِينَ : اسْمِي قَصْرُ عَابِدِينَ ، أَمَرَ الخِدِيوِي إِسْمَاعِيلُ بإنشائي فَوْرَ تَوْلِّيهِ حُكْمَ مِصْرَ عَامَ 1836م ، أَمَا عُنْوَانِي فَهُوَ مَيْدَانُ عَابِدِينَ بِالْقَاهِرَةِ .

–مَنْ عَابِدِينَ هَذَا الَّذِي سُمِّيتَ بَاسِمِهِ ؟

–هُوَ عَابِدِين بِكْ أَحَدُ القَادَةِ العَسْكَرِيِّينَ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ عَلِيّ بَاشَا وَكَانَ يَمْتَلِكُ قَصْراً صَغِيراً فِي نَفْسِ مَكَانِي هَذَا فَاشْتَرَاهُ إِسْمَاعِيلُ مِنْ أَرْمَلَتِهِ وَهَدَمَهُ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَرَاضِيَ وَاسِعَةً ثُمَّ شَرَعَ فِي تَشْيِيدِي عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَرَوْنَ .

–مَاذَا حَدَثَ يَوْمَ مُظَاهَرَةِ أَحْمَدَ عُرَابِي ضِدَّ الخِدِيوِي .

هُنَاكَ ثَوْرَتَانِ لأَحْمَدَ عُرَابِي ضِدَّ الخِدِيوِي وَلَيْسَتْ ثَوْرَةً وَاحِدَةً ، فَعَنْ أَيِّهِمَا تَسْأَلُ.

مَالَ عُضْوُ الْيَسَارِ عَلَى الْقَاضِي وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ الثَّوْرَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا .

الْقَاضِي : قُلْ كُلَّ مَا تَعْرِفُهُ عَنْ الثَّوْرَتَيْنِ .

قَصَرُ عَابِدِينَ : الثَّوْرَةُ الأُولَى كَانَتْ مَسَاءَ السَّبْتِ 27 أُغُسْطُس 1881م بَعْدَ خُرُوجِ عُرَابِي وَصَاحِبَيْهِ مِنْ سِجْنِ دِيوَانِ الْجِهَادِيَّةِ . كَانَتْ الأُورْطَةُ الأُولَى مِنْ الْحَرَسِ الخِدِيوِي حِكِمْدَارِيَة البِيكْبَاشِي أَحْمَد أَفَنْدِي فَرَج وَاقِفَةً أَمَامِي لِحِمَايَتِي وَكَانَتْ تَابِعَةً لأَمِيرالاي الْحَرَسِ عَلِي فَهْمِي بِكْ

وَعِنْدَمَا جَاءَ عُرَابِي بِكْ أَمَرَ عَلِي فَهْمِي بِكَ الْعَسَاكِرَ بِحَمْلِ أَسْلِحَتِهِمْ بِحَرَكَةِ (سَلَام دُور) ثَلاثاً وَعَزَفَتْ الْمُوسِيقَى سَلاَمَ الخِدِيوِي وَنَادَوْا جَمِيعاً : " يَعِيشُ الخِدِيوِي " ثَلاثاً

هَلْ كَانَ الخِدِيوِي مَوْجُوداً دَاخِلَكَ ؟

– نَعَمْ ، كَانَ جَلاَلَتُهُ مَوْجُوداً هُوَ وَدَوْلَةُ نَاظِرِ النُّظَّارِ رِيَاضُ بَاشَا ، وَمَعَالِي النُّظَّارِ ، وَعُثْمَانُ رِفْقِي بَاشَا ، وَأُسْطُون بَاشَا الأَمْرِيكِي رَئِيسُ أَرْكَانِ الْحَرِبِ ، وَنَاظِرُ الْمَدَارِسِ الْحَرْبِيَّةِ أُرْفِى بَاشَا الفَرَنْسَاوِي ، وَالْفَرِيقُ إِسْمَاعِيلُ كَامِل بَاشَا الشَّرْكَسِي وَ...

قَاطَعَ الْقَاضِي الْقَصْرَ قَائِلاً : يَكْفِي هَذَا ، وَقُلْ لَنَا مَاذَا حَدَثَ فِي هَذَا الاجْتِمَاعِ .

الْقَصْرُ : تَشَاوَرَ الجَمِيعُ فِيمَا يَفْعَلُونَهُ حِيَالَ حِصَارِ عُرَابِي بِكْ وَمَنْ مَعَهُ قَصْرَ عَابِدِينَ .

اسْتَحْسَنَ الجَمِيعُ رَأْيَ رَئِيسَ الأَرْكَانِ ، وَلَكِنَّ الْفَرِيقَ إِسْمَاعِيلَ كَامِل بَاشَا اعْتَرَضَ قَائِلاً : " أَعْتَقِدُ اتِّفَاقَ جَمِيعِ الْعَسَاكِرِ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ فَلا يُجْدِي هَذَا الرَّأْيَ نَفْعاً ". طَالَ النِّقَاشُ وَتَشَعَّبَ وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى رَأْيٍ هَذِهِ اللَّيْلَةَ .

وَبَيْنَمَا كَانَ النِّقَاشُ دَائِراً بَيْنَ الْمُجْتَمِعِينَ دَاخِلِي حَضَرَ آلاي السَّوَارِي مِنْ طُرَةَ الَّذِي كَانَ أَمِيرُهُ عَبْدُ الْعَالِ حَلِمَي قَبْلَ عَزْلِهِ ، وَانْضَمَّ إِلَى آلاي الْحَرَسَ ، ثُمَّ عَزَفَتْ الْمُوسِيقَى سَلاَمَ الخِدِيوِي .

بَاتَ الجَمِيعُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، الخِدِيوِي وَمَنْ مَعَه دَاخِلِي ، وَعُرَابِي بِكْ وَمَنْ مَعَه خَارِجِي .

–وَمَاذَا حَدَثَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي ؟

– فِي الصَّبَاحِ اتَّفَقَ الخِدِيوِي وَمَنْ مَعَهُ عَلَى إِرْسَالِ أَحْمَدَ خَيْرِي بَاشَا مُهْرِ دَارِ الخِدِيوِي وَمَعَهُ مَحْمُودُ سَامِي الْبَارُودِي بَاشَا نَاظِرُ الأَوْقَافِ إِلَى عُرَابِي بِكْ لِيَعْرِفُوا طَلَبَاتِهِ .

– وَمَاذَا دَارَ فِي حِوَارِ مَنْدُوبَي الخِدِيوِي وَعُرَابِي ؟

– قَالَ أَحْمَدُ خَيْرِي بَاشَا ، وَمَحْمُودُ سَامِي بَاشَا ...

تَمَلْمَلَ عُضْوُ الْيَسَارِ مِنْ كُثْرَةِ تَكْرَارِ الْقَصْرِ أَلْقَابَ الأَشْخَاصِ بَاشَا وَبِكْ وَأَفَنْدِي وَطَلَبَ مِنْ الْقَاضِي إِعْفَاءَهُ مِنْ ذِكْرِهَا ؛ دَفْعاً لِلْمَلَلِ وَمُرَاعَاةً لِشُعُورِهِمْ ، فَهَذِهِ الأَلْقَابُ تُذَكِّرُهُمْ بِعُهُودِ الظُّلْمِ قَالَ الْقَاضِي وَقَدْ وَافَقَ هُوَ وَعُضْوُ الْيَمِينِ عَلَى الاقْتِرَاحِ : مِنْ فَضْلِكَ أَيُّهَا الْقَصَرُ لا دَاعِيَ لِذِكْرِ أَلْقَابِ الأَشْخَاصِ ، وَإِذَا أَرَدْنَا الاسْتِفْسَارَ عَنْ أَحَدٍ فَسَوْفَ نَسْأَلُكَ وَالاسْتِبْدَادِ وَالإِقْطَاعِ .

قَالَ الْقَصَرُ : أَنَا أُقَدِّرُ حَسَاسِيَتَكُمْ تِجَاهَ هَذِهِ الأَلْقَابِ فَقَدْ نَشَأْتُم فِي ظَلِّ ثَوْرَةِ يُولْيُو الَّتِي أَلْغَتْهَا وَاسْتَهْجَنَتْ أَفْعَالَ كَثِيرٍ مِنْ حَمَلَتِهَا ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ دَرَجْتُ عَلَيْهَا .

وَعِشْتُ مُعْظَمَ حَيَاتِي أَسْمَعُهَا تَتَرَدَّدُ بَيْنَ جُدْرَانِي وَأَمَامِي ، فَأَرْجُو الْمَعْذِرَةَ فَمَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ شَابَ عَلَيْهِ .

الْقَاضِي : لا عَلَيْكَ فَنَحْنُ نَعْرِفُ نَشْأَتَكَ ، وَنُقَدِّرُ لَكَ أَمَانَتَكَ فِي النَّقْلِ ، ومعذرةً عَلَى المُقَاطَعَةِ.

القَصْرُ: قَالَ مَنْدُوبَا الخِدِيوِي لِعُرَابِي وَمَنْ مَعَهُ : " مَاذَا تُرِيدُونَ ؟ " فَقَالُوا لَهُمَا : " نُرِيدُ الْعَدْلَ وَالْمُسَاوَاةَ " . قَالا : " ثُمَّ مَاذَا ؟ " . قَالُوا : اسْتِبْدَالَ نَاظِرِ الْجِهَادِيَّةِ بِرَجُلٍ وَطَنِيٍّ ...

الْقَاضِي : تَقْصِدُ اسْتِبْدَالَ رَجُلٍ وَطَنِيٍّ بِنَاظِرِ الْجِهَادِيَّةِ فَهَذَا هُوَ التَّعْبِيرُ الصَّحِيحُ فِي اللُّغَةِ فَالبَاءُ تَدْخُلُ عَلَى الْمَتْرُوكِ أَمَا سَمِعتَ قَوْلَهُ تَعَالَى :

{ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ } .

– الخَطَأُ لَيْسَ خَطَئِي ، أَنَا أَنْقُلُ مَا سَمِعْتُهُ بِالْحَرْفِ وَلا أَتَدَخَّلُ فِيهِ فَهَذِهِ أَمَانَةٌ .

– لا عَلَيْكَ فَهَذَا خَطَأٌ لُغَوِيٌّ شَائِعٌ .

– قَالُوا : اسْتِبْدَالَ نَاظِرِ الْجِهَادِيَّةِ بِرَجُلٍ وَطَنِيٍّ ، وَتَشْكِيلَ مَجْلِسِ نُوَّابٍ لِلأُمَّةِ يُنْظُرُ فِي مَصَالِحِهَا وَتَعْدِيلَ الْقَوَانِينِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، وَإِبْلاَغَ الْجَيْشِ إِلَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ فَرْدٍ ، وَنَحْنُ عَلَى طَاعَتِنَا لِلْحَضْرَةِ الخِدِيوِيَّةِ .

ذَهَبَ الْمَنْدُوبَانِ إِلَى الخِدِيوِي ثُمَّ رَجَعَا وَقَالا :" قَدْ عُزِلَ عُثْمَانُ رِفْقِي ، فَمَنْ الَّذِي تُرِيدُونَهُ نَاظِراً لِلْجِهَادِيَّةِ ؟ " .

قَالُوا :" الَّذِي يَخْتَارُهُ الخِدِيوِي مِنْ الْوَطَنِيِّينَ". فَذَهَبَا وَعَادَا ثَانِيَةً وَقَالا :" إِنَّ الخِدِيوِي يَقُولُ لَكُمْ اخْتَارُوا أَنْتُمْ مَنْ تَرْضُونَهُ حَتَّى لا يُحَصِّلُ مِنْه مَا حَصَلَ مِنْ عُثْمَان رِفْقِي " .

فَمَنْ الَّذِي تُرِيدُونَهُ نَاظِراً لِلْجِهَادِيَّةِ ؟ " . قَالُوا :" الَّذِي يَخْتَارُهُ الخِدِيوِي مِنْ الْوَطَنِيِّينَ". فَذَهَبَا وَعَادَا ثَانِيَةً وَقَالا :" إِنَّ الخِدِيوِي يَقُولُ لَكُمْ اخْتَارُوا أَنْتُمْ مَنْ تَرْضُونَهُ حَتَّى لا يُحَصُلُ مِنْه مَا حَصَلَ مِنْ عُثْمَان رِفْقِي " فَقَالُوا :" قَدْ اخْتَرْنَا مَحْمُودَ سَامِي بَاشَا البَارُودِي ؛ وَهُوَ مِنْ أَوْلادِ الْمَمَالِيكِ الأُوَلِ ، وَلَكِنَّهُ صَدَقَ مَعَنَا وَلَمْ يَغْدُرْ بِنَا".

ثُمَّ صَدَرَتْ الأَوَامِرُ الخِدِيوِيَّةُ بِإِعَادَةِ الأُمَرَاءِ الثَّلاثَةِ إِلَى آلايَاتِهِم وَعَزْلِ عُثْمَانَ رِفْقِي وتَوَلَّى البَارُودِي نِظَارَةَ الْجِهَادِيَّةِ مَعَ نِظَارَةِ الأَوْقَافِ ، وَأَخَذَ فِي سَنِّ الْقَوَانِينِ الْعَادِلَةِ وَتَعْدِيلِ الْقَوَانِينِ الأَصْلِيَّةِ وَتَنْقِيحِهَا .

هَذَا عَنْ الثَّوْرَةِ الأُولَى أَمَّا الثَّوْرَةُ الثَّانِيَةُ ...

قَاطَعَ القَاضِي القَصْرَ قَائِلاً : نَكْتَفِي بِهَذَا الْيَوْمَ فَمَا أَرَانَا إِلاَّ قَدْ اسْتَبَدَّ بِنَا التَّعَبُ وَالْجُوعُ .

–أَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي ضِيَافَتِي ، أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَدَاءِ ، والبَيَاتِ .

تَدَاوَلَ الْقَاضِي مَعَ مُسْتَشَارِيهِ الرَّأْيَ ثُمَّ قَالَ الْقَاضِي : نَحْنُ نُقْبَلُ دَعْوَتَكَ عَلَى الْغَدَاءِ ، أَمَّا البَيَاتُ فَاعْفِنَا مِنْه ؛ فَلَدَيْنَا الْتِزَامَاتٌ أُسَرِيَّةٌ تَمْنَعُنَا مِنْ البَيَاتِ بَعِيداً عَنْ بُيُوتِنَا.

–أَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي ضِيَافَتِي ، أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَدَاءِ ، والبَيَاتِ .

تَدَاوَلَ الْقَاضِي مَعَ مُسْتَشَارِيهِ الرَّأْيَ ثُمَّ قَالَ الْقَاضِي : نَحْنُ نُقْبَلُ دَعْوَتَكَ عَلَى الْغَدَاءِ ، أَمَّا البَيَاتُ فَاعْفِنَا مِنْه ؛ فَلَدَيْنَا الْتِزَامَاتٌ أُسَرِيَّةٌ تَمْنَعُنَا مِنْ البَيَاتِ بَعِيداً عَنْ بُيُوتِنَا.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي عَادَتْ هَيْئَةُ الْمَحْكَمَةِ إِلَى الشُّرْفَةِ الأَمَامِيَّةِ الْمُطِلَّةِ عَلَى مَيْدَانِ عَابِدِينَ لِاسْتِكْمَالِ سَمَاعِ شَهَادَةِ الشَّاهِدِ الثَّالِثِ عَلَى ثَوْرَتَي عُرَابِي أَوْ هُوجَةِ عُرَابِي كَمَا كَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا حِينَئِذٍ .

قَالَ الْقَاضِي لِقَصْرِ عَابِدِينَ : حَدِّثْنَا الْيَوْمَ عَمَّا جَرَى بَعْدَ أَحداثِ لَيْلَةِ وَيَوْمِ 27 أُغُسْطُس 1881 م .

–بَعْدَ أَنْ أُجِيبَتْ طَلَبَاتُ عُرَابِي اجْتَهَدَتْ حُكُومَةُ رِيَاض بَاشَا فِي الْغَدْرِ بِعُرَابِي هُوَ وأَتْبَاعِهِ وَلَمَّا لَمْ يُوَافِقْهَا البَارُودِي عَلَى نَوَايَاهَا عَزَلُوهُ ، وَنَفَوهُ خَارِجَ الْعَاصِمَةِ ، وَشَدَّدُوا عَلَيْهِ بألاَّ يَجْتَمِعَ بِعُرَابِي وَرِفَاقِهُ ، وَعُيِّنَ بَدَلاً مِنْه داود بَاشَا يَكَن ، وَهُوَ عَدِيلُ الخِدِيوِي ، الَّذِي عَمِلَ عَلَى إجْهَاضِ ثَوْرَةِ عُرَابِي الأُولَى وَتَعْطِيلِ كُلِّ الإِصْلاَحَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا البَارُودِي باشا مِثْل ...

قَاطَعَ الْقَاضِي الْقَصْرَ قَائِلاً : نَشْكُرُ لَكَ دِقَّتَكَ فِي سَرْدِ الأَحْدَاثِ لَكِنْ نَرْجُوا الدُّخُولَ فِي أَحداثِ الثَّوْرَةِ الثَّانِيَةِ مَحلَّ التَّحْقِيقِ .

–كَتَبَ عُرَابِي لِرِيَاضِ بَاشَا عَرِيضَةً يُخْبِرُهُ فِيهَا أَنَّهُ سَيَحْضُرُ بِجَمِيعِ الْعَسَاكِرِ الْمَوْجُودَيْنَ فِي الْقَاهِرَةِ إِلَى سَاحَةِ عَابِدِينَ لِعَرْضِ طَلَبَاتِهِ عَلَى الخِدِيوِي فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ بَعْدَ ظُهْرِ الْجُمْعَةِ 9 سِبْتمبَر 1881م ، وَكَلَّفَهُ بِعَرْضِ ذَلِكَ عَلَى الخِدِيوِي ، وَسَمِعْتُ مِنْ الْمُنَاقِشَاتِ الَّتِي دَارَتْ فِي الْقَصْرِ بَيْنَ الخِدِيوِي وَرِياض بَاشَا أَنَّ عُرَابِي قَدْ كَتَبَ رَسَائِلَ إِلَى جَمِيعِ قَنَاصِلِ الدُّوَلِ بِمَا كَتَبَهُ لِلْخِدِيوِي ، وَأَعْلَنَهُمْ بِحِفْظِ جَمِيعِ رَعَايَاهُمْ فَلا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلا عَلَى أَمْوَالِهِمْ .

–وَهَلْ حَضَرَ عُرَابِي وَعَسَاكِرُ الْقَاهِرَةِ إِلَى سَاحَةِ عَابِدِينَ ؟

–نَعَمْ ، فِي الْمَوْعِدِ الَّذِي حَدَّدَهُ اجْتَمَعَتْ آلايَاتُ البِيَادَةِ وَالسَّوَارِي وَالطُّوبْجِيَّةِ فِي مَيْدَانِ عَابِدِينَ

–وَمَاذَا فَعَلَ الخِدِيوِي حِينَئِذٍ ؟

–ذَهَبَ الخِدِيوِي إِلَى عُرَابِي فِي الْمَيْدَانِ وَقَالَ لَهُ فِي حِدَّةٍ : مَاذَا تُرِيدُ ؟ فَرَدَّ عَلَيه عُرَابِي بِكُلِّ ثَبَاتٍ : جِئْتُ أُقَدِّمُ مَطَالِبَ الْجَيْشِ وَالشَّعْبِ .

قَالَ الخِدِيوِي : وَمَا تِلْكَ الْمَطَالِبُ ؟

قَالَ عُرَابِي : إِسْقَاطُ وَزَارَةِ رِياض بَاشَا ، وَتَشْكِيلُ وَزَارَةٍ وَطَنِيَّةٍ ، وَقِيَامُ مَجْلِسٍ نِيَابِيٍّ حَدِيثٍ وَزِيادَةُ عَدَدِ الْجَيْشِ إِلَى 18.000 أَلْفَ فَرْدٍ " .

فَرَدَّ عَلَيهِ الخِدِيوِي بِتَكَبُّرٍ :" كُلُّ هَذِهِ الطَّلَبَاتِ لا حَقَّ لَكُمْ فِيهَا ، وَأَنَا وَرِثْتُ مُلْكَ هَذِهِ الْبِلادِ عَنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَمَا أَنْتُمْ إلاَّ عَبِيدُ إِحْسَانَاتِنَا ."

فَرَدَّ عَلَيْهِ عُرَابِي بِكُلِّ حَسْمٍ وَحَزْمٍ : " لَقَدْ خَلَقَنَا اللهُ أَحْرَارًا ، وَلَمْ يَخْلُقْنَا تُرَاثًا أَوْ عَقَارًا ؛ فُواللهِ الَّذِي لا إِلهَ إلاَّ هُوَ ، لا نُوَرَّثُ ، وَلا نُسْتَعْبَدُ بَعْدَ الْيَوْمِ ."

وَأَمَامَ ثَبَاتِ عُرَابِي مُمَثِّلِ الجَيْشِ وَالشَّعْبِ اسْتَجَابَ الخِدِيوِي لِمَطَالِبِ الأُمَّةِ ، فَعَزَلَ رِيَاضَ بَاشَا وَعَهِدَ إِلَى شَرِيفِ بَاشَا بِتَشْكِيلِ الْوَزَارَةِ ، وَسَعَى لِوَضعِ دُسْتُورٍ لِلْبِلادِ ، وَنَجَحَ فِي الانْتِهاءِ مِنْهُ وَعَرْضِهِ عَلَى مَجْلِسِ النُّوَّابِ الَّذِي أَقَرَّ مُعْظَمَ مَوَادِّهِ .

–هَذَا جَيِّدٌ .. هَلْ لَدَيْكَ أَقْوَالٍ أُخْرَى ؟

– أَنَا شَاهِدٌ عَلَى اسْتِسْلاَمِ الخِدِيوِي لِرِغبَاتِ الإِنْجِلِيزِ والفَرَنْسِيِّين وَتَدَخُّلِهِمْ فِي إِدارَةِ شُئُونِ الْبِلادِ وَمُحَاوَلَتِهِم أَفْسَادَ الْمَكَاسِبِ الَّتِي حَقَّقَتْهَا الثَّوْرَةُ ؛ مِمَّا جَعَلَ شَرِيفَ بَاشَا يَتَقَدَّمُ لِلْخِدِيوِي بِاسْتِقالَتِهُ فِي 2 فِبْرَايِر 1882م .

وَتَشَكَّلَتْ حُكُومَةٌ جَدِيدَةٌ بِرِئَاسَةِ مَحْمُودِ سَامِي الْبَارُودِي ، وَشَغَلَ عُرَابِي فِيهَا مَنْصِبَ وَزِيرَ الْجِهَادِيَّةِ ، وَقُوبِلَتْ وَزَارَةُ الْبَارُودِي وَزَارَةُ الثَّوْرَةِ بِالارْتِيَاحِ وَالْقَبُولِ مِنْ مُخْتَلِفِ الدَّوَائِرِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ ؛ لأَنَّهَا كَانَتْ تَحْقِيقًا لِرغبَةِ الأُمَّةِ، وَكَانَتْ عِنْدَ حُسْنِ الظَّنِّ بِهَا ، فَأَعْلَنَتْ الدُّسْتُورَ وَصَدَرَ الْمَرْسُومُ الخديوي بِهِ فِي 7 فِبْرَايِر 1882 .

أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ الْخُطْوَةَ الْوَلِيدَةَ إِلَى الْحَيَاةِ النِّيَابِيَّةِ تَعَثَّرَتْ بَعْدَ نُشُوبِ خِلَافٍ بَيْنَ الخِدِيوِي وَوَزَارَةِ الْبَارُودِي حَوْلَ تَنْفِيذِ بَعْضِ الأَحْكَامِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، وَاشْتَدَّتْ الأَزْمَةُ ، وَتَعَقَّدَ الْحَلُّ ، وَوَجَدَتْ بِرِيطَانْيَا وَفَرَنْسَا فِي هَذَا الْخِلَافِ الْمُسْتَعِرِ بَيْنَ الخِدِيوِي وَالوَزَارَةِ فُرْصَةً لِلْتَدَخُّلِ فِي شُئُونِ الْبِلَادِ فَبَعَثَتْ بِأُسْطُولَيْهِمَا إِلَى شَاطِئِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِدَعْوَى حِمَايَةِ الأَجَانِبِ مِنْ الأَخْطَارِ .

الْقَاضِي : نَكْتَفِي بِهَذَا فَقَدْ انْتَهَتْ أَحْدَاثُ الثَّوْرَتَيْنِ وَدَخَلْنَا فِي أَحِداثِ احْتِلَالِ إِنْجِلْتِرَا لِمِصْرَ وَهَذَا لَيْسَ مَحِلَّ تَحْقِيقِنَا . نُشْكُرُ لَكَ تَعَاوُنَكَ مَعَنَا وَضِيَافَتَكَ لَنَا ، وَسَأَدْعُو كُلَّ مَنْ أَعْرُفُ لِلْمَجِيءِ لِزِيارَتِكَ لِمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ قِيمَةٍ تَارِيخِيَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَشَهَادَةٍ تَارِيخِيَّةٍ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ الأَحْدَاثِ الْوَطَنِيَّةِ